آفاق تطوير المناهج التربوية في ظل تحديات العولمة

The prospects of developing educational programs in light of the challenges of globalization

الأستاذ ضياف زين الدين

جامعة مسيلة

الملخص:

تشكل المناهج التربوية المحور الأساسي لبناء منظومة تربوية فعالة وذات جودة عالية، فأي إصلاح تعليمي لا يتوغل إلى المناهج ويغير محتوى العملية التعليمية نوعيا، يحكم عليه بالفشل، باعتبار المناهج هي التجسيد الحي لكافة أهدافنا من أي إصلاح.

وفي الواقع أن ما يقدم لأبنائنا في الوقت الحالي لا يرتبط بصلة بحياتهم، وتوقعاتهم وطموحاتهم المنتظرة من مجتمع القرن الحادي والعشرين، الذين سيقضون حياتهم فيه.

ولعله من البديهي في ظل التحولات العميقة في النظام العالمي الجديد، وما يرافقه من تطورات تكنولوجية ومعلوماتية، أصبح من الضروري إعادة النظر في مناهجنا التربوية وفق معايير وأسس مختلفة عما ألفناه سابقا، فتطوير مناهجنا يجب أن يستند إلى رؤية مجتمعية متقدمة.

ولهذا سنحاول خلال مداخلتنا التطرق لمفهوم تطوير المناهج التربوية، ثم توضيح واقع المناهج التربوية في العالم العربي، مع إبراز دور المتغيرات العالمية في تطوير المناهج ثم التركيز على المبادئ الأساسية لتطوير المناهج في العالم العربي وأخيرا تقديم رؤية مستقبلية لتطوير المناهج التربوية في ظل تحديات العولمة.

Abstract:

Educational programs are the main pillar of construction an effective educational system of high quality. Any educational reform that does not penetrate the program and change the content of the educational process qualitatively is doomed to fail, considering that the program is the living embodiment of all our goals of any reform.

In fact, what is being offered to our children at the present time has nothing to do with their lives, expectations and aspirations from the society of the twenty-first century, in which they will live their lives.

In order to the profound changes in the new world order and the accompanying technological and information developments, it is necessary to reconsider our educational programs according to different values and foundations than we have previously mentioned. The development of our prospectuses must based on an advanced societal vision.

In this context, we will try to address the concept of developing educational prospectuses and then clarify the reality of educational programs in the Arab world, while showing the main role of global variables in developing programs, focusing on the basic principles of its development in the Arab world.

مقدمة:

يدخل العالم حقبة جديدة مع بداية الألفية الثالثة بظهور مصطلحات حديثة منها العولمة globalization والتي تصبح من خلالها شعوب العالم متصلة ببعضها في كل أوجه حياتها ثقافيا وفكريا واقتصاديا وسياسيا.

ولا شك أن ندرك الدور التي تلعبه تكنولوجيات الاتصالات والمعلومات في المنظومة التعليمية، إذ يتمثل هدفها الاستراتيجي في توفير الإمكانيات اللازمة لتصميم نظم ومؤسسات تعليمية ومعرفية جديدة، وهذه التحديات تتمثل في صفة خاصة في تطوير المناهج وصياغة المحتوى التعليمي حتى تتماشى مع المتغيرات العالمية، وتشكل المناهج التربوية المحور الأساسي لبناء منظومة تربوية فعالة وذات جود ة عالية، فأي إصلاح تعليمي لا يتوغل إلى المناهج و يغير محتوى العملية التعليمية نوعيا يحكم عليه بالفشل، باعتبار المناهج هي التجسيد الحي لكافة أهدافنا من أي إصلاح أو تطوير. وفي الواقع أن ما يقدم لأبنائنا في الوقت الحالي لا يرتبط بحياتهم ولا بتوقعاتهم وطموحاتهم المنتظرة من مجتمع القرن الحادي والعشرين الذين سيقضون حياتهم فيه ولذا فإنه من البديهي في ظل التحولات العميقة في النظام العالمي الدولي الجديد، وما يرافقه من تطورات تكنولوجية ومعلوماتية، أصبح من الضروري إعادة النظر في مناهجنا التربوية، وفق معايير وأسس مختلفة عما ألفناه سابقا.

فتطوير مناهجنا يجب أن يستند إلى رؤية مجتمعية متقدمة وهذا لأن خطورة مجال التربية في عصر العولمة يجعل منه في كونه هو المحك الحقيقي في قدرة أي دولة على مواكبة السباق أو التخلف عنه والتقهقر.

ولذا سنتطرق لمفهوم تطوير المناهج التربوية ثم توضيح واقع المناهج التربوية في العالم العربي مع إبراز دور المتغيرات العالمية في تطوير المناهج وأخيرا تقديم رؤية مستقبلية لتطوير المناهج التربوية في ظل تحديات العولمة.

1-مفهوم تطوير المناهج التربوية:

إن المتتبع للحركة التربوية عبر مراحل التطور التاريخي بانتقال الإنسان من مرحلة الزراعة، إلى مرحلة الصناعة، فمرحلة الثورة المعرفية، يلاحظ بأن مفهوم التربية قد تغير في معناه، وتعمقت وتبدلت أهدافه وزادت في المدة الزمنية التي يستغرقها الإعداد التربوي للنشء إلى درجة التي أصبح فيها أغلب أبناؤها ثلث متوسط أعمارهم وهم في مرحلة الأعداد والتكوين.

ولذا يجد التربويين أنفسهم دائما أمام متغيرات وتحولات عميقة في الفلسفات التي تتبناها المجتمعات وانعكاساتها على نظرة الأفراد للحياة، كما وجدوا أنفسهم أمام صرا ع مستمر للقيم وتغير في الأنظمة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية بحيث تجلت لهم الأنظمة التربوية السائدة في زمن من الأزمان هي قديمة على الدوام، وتحتاج إلى إعادة النظر بصورة متلاحقة في فلسفتها وفي أهدافها وبرامجها ووسائلها. ولهذا فالمناهج التربوي يحتاج إلى التطوير القائم على المراجعة والتحليل الشامل للنظام على ضوء متغيرات الفلسفة التربوية.

فالدكتور فؤاد سليمان قلادة يعرف المنهج التربوي بأنه هو مجموع الخبرات الاجتماعية والثقافية والرياضية والفنية والعلمية التي تخططها المدرسة وتهيئها لتلاميذها ليقوموا بتعلمها داخل المدرسة أو خارجها بهدف، إكسابهم أنماطا من السلوك أو للتعديل أو لتغيير أنماط أخرى من السلوك نحو الاتجاه المرغوب ومن خلال ممارستهم لجميع الأنشطة اللازمة والمصاحبة لتعلم تلك الخبرات مما يساعدهم في إتمام نموهم[1].

فالنظام التربوي يحتاج إلى التطوير حتى يستطيع تجاوز بعض المعيقات التي من بينها:

- تجدد النظرة الفلسفية للتربية.
- نمو المعارف المتعلق بالمتعلم وطبيعية التعلم.
- تقدم العلم وإدخال التكنولوجيا في التعلم.
- تسارع التغير في الحياة الاجتماعية والاقتصادية[2].

ولقد ارتبط مفهوم التطوير بمفهوم المنهج لأن تطوير المنهج لا ينفصل أساسا عن مفهوم المنهج في حد ذاته، ولهذا يمكن تعريف المنهج بمفهومه الحديث بأنه عبارة عن مجموعة الخبرات المربية التي تهيئها المدرسة للتلاميذ، بقصد مساعدتهم على النمو الشامل وعلى التعديل في سلوكهم أما تطوير المنهج فينصب على تعديل وتطوير المقررات الدراسية.

وعلى هذا الأساس فإن تطوير المناهج يشمل الحياة المدرسية بشتى أبعادها وعلى كل ما يرتبط بها، فلا يركز على المعلومات في حد ذاتها وإنما يتعداها إلى الطريقة والوسيلة والكتاب المدرسي ونظم التقويم ولهذا فإن التلميذ هو محور العملية التعليمية في ظل المحيط الذي يعيش فيه[3].

ولهذا يمكن القول بأن مفهوم تطوير المنهج التربوي يعني تلك التعديلات المقننة والمنظمة التي يقوم بها أهل التربية والتي تشمل المنهج بما يؤدي إلى تحديثه وزيادة فاعليته، وبالتالي الوصول إلى تحقيق أهداف النظام التربوي.

2-واقع المناهج التربوية في العالم العربي:

إن المفهوم الحضاري للتربية يجعل من الإنسان ووجدانه وجسمه وقيمه واتجاهاته وما لديه من مهارات وأفكار الهدف الرئيسي للعملية التربوية فهل واقع الإنسان العربي يتميز بهذه المواصفات؟ وهل حققت مناهجنا التربوية الأهداف المرجوة؟ فمن خلال دراسة تاريخية حول المناهج التربوية في البلاد العربية والتي يمكن أن نقسمها إلى أربعة مراحل هامة تتضح كالتالي:

أولا: تبرز هذه المرحلة في قيام الدولة العربية في العهد الأموي والعباسي وبالأندلس على الإشراف التام على التعليم والعناية به من جميع الجوانب.

ثانيا: تميزت هذه الفترة الثانية بالركود والتقهقر حتى نطاق العهد العثماني التي تميزت بعدم الاستقرار والاضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وضعف سيطرة الدولة، وبالتالي تأثر المجال التربوي، وانحصر دوره في التعليم الديني والتعليم التقليدي.

ثالثا: تعتبر هذه الفترة من تاريخ الوطن العربي نقطة تحول في جميع مجالات حياتها وخضوعها للسيطرة والاحتلال والانتداب الأجنبي خاصة الاستعمار الفرنسي والإنجليزي وبالتالي خضوع مناهج الدول العربية للدولة المستعمرة والتي كانت، تعكس الثقافة السائدة في الغرب بحيث عمدت على نشر الثقافة الغربية وسحق الثقافة العربية عبر المناهج التعليمية التي كانت موجهة لسكان الأهالي وتتميز بتعليم بسيط وتأهيلي لبعض الحرف والمهن التي تخدم الأهداف الاستغلالية للمستعمر، وبقيت هذه المناهج على حالها حتى فترة الاستقلال.

رابعا: بدأت محاولات محتشمة بعد الاستقلال مباشرة للإخضاع التربية لمفهوم وطني وعربي لتحسين المناهج التربوية من أجل الالتحاق بالركب الحضاري العالمي واختلف هذا المجهود من دولة للأخرى لكن الإخفاق كان ملازما لها بسبب سطحية تطوير المناهج وارتباط أغلبها بالدولة المستعمرة بحيث اعتمد مبدأ التقليد في ضبط المناهج الوطنية[4].

ولهذا اختلفت نسبة تطوير المناهج ما بين الدول العربية والجزائر كانت في الطليعة في هذا المجال بإحداثها تغييرات على السياسة التعليمية والمناهج التربوية وعددها ووسائل تحقيقها وذلك بإعداد الإطارات التربوية عبر المعاهد التكنولوجية للتربية.

ولمست إصلاحات التعليم الأساسي في سنة 1980 بإعادة النظر في المناهج والوسائل وباعتماد التعليم التطبيقي والتقني وفي سنة 1994 تمت إعادة هيكلة التعليم الثانوي، ثم أتت مرحلة إصلاح المنظومة التربوية مع بداية القرن الحادي و العشرين في ظروف صعبة وتحولات محلية ضمن تأثير المتغيرات العالمية، التي فرضت إعادة النظر في السياسة التربوية، فرغم ما صاحب مشروع إصلاح المنظومة التربوية من انتقادات واتهامها بأنها انسلاخ عن الأصالة فإنها تعد أول خطوة شجاعة لدخول الألفية الثالثة من بابه الواسع بإصلاحات شاملة في المنهاج التربوي بحيث أصبح التعليم أكثر تفتحا على المحيط والعالم، وعلى التكنولوجيات، وعلى اللغات الأجنبية.

حيث بواسطة هذه الإصلاحات يمكن أن ننخرط في تيار العولمة ونحن قد أهلنا أبنائنا بمستوى علمي يؤهلهم للمشاركة الحقيقية في تيار العولمة وما يترتب عنه من ترقية للإنسان ونمو في المعرفة والتحكم في التكنولوجيا، وبالتالي الوصول إلى كافة أشكال الإبداع الفكري والمادي. ودون أن ننسى قيمنا الثقافية الأصيلة (5).

3-دور الاتجاهات العالمية في تطوير المناهج التربوية:

تعتبر العولمة حدثا تاريخيا أدخلت تحولات كثيرة في مجالات واسعة مثل الثقافة والعلم والتكنولوجية المعرفية، ولهذا فإنه مع البوادر الأولى للعولمة أدرك أنصارها أن وسائل الاتصال الجماهيرية تعد أمضى سلاح للتوغل واكتساح الحدود، والتي بواسطتها يتم نشر أنماط معينة من أساليب التعبير ومناهج التفكير فكان من الطبيعي للعولمة أن تهدف إلى صياغة العقول طبقا لأهدافها.

ولهذا فان اختراق العولمة وانتشار نفوذها على العالم أمتد ليشمل مجال التربية، بحيث نجد أن الدول المتقدمة وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية، تحاول فرض مناهجها وبرامجها على الدول النامية وهكذا تتحول منظوماتها التربوية تابعة لها، وبالتالي يتم صقل عقول أجيال جديدة وفق نماذج محددة مسبقا، فعصر العولمة أصبح فيه كل شيء قابل للبيع والشراء والاستثمار بما في ذلك مجال التربية والتعليم الذي جلب إليه الاستثمارات الموجه إلى السوق مما سيجعل الأجيال القادمة من المتعلمين مختلفين عن الأجيال السابقة إذ يتم إعدادهم لأداء أعمال ومهام معينة من خلال مناهج وبرامج تعليمية تم إعدادها لهذه الأهداف.

ويشكل المحتوى التعليمي حجر الزاوية في إستراتيجية العولمة التعليمية وهذا نظرا لما يمثله هذا الاختيار من عوائد سواء بالنسبة للعملية التعليمية نفسها أم المنتج أو المستثمر ولهذا ظهر علم جديد هو علم إدارة المعرفة والذي يعمل على تحليل ودراسة كل المشاكل التي تواجه العملية التعليمية من ذلك توظيف نظم الحاسبات والشبكات والوسائل المتعددة التي تعمل على تطوير العملية التعليمية وقد تم تطوير المناهج التربوية وتطوير الوسائل بإقحام الشبكات الفضائية، وفي مقدمتها شبكة الإنترنت وذلك لمواكبة عولمة التعليم.

إذن تلعب تكنولوجيات الاتصالات والمعلومات عاملا مؤثرا في صياغة المحتوى التعليمي وتحديد أساليب التدريس وتنظيم الوحدات والنماذج التعليمية، في منظومة لا تحمل طياتها أي بوادر للصدام أو الصراع، ولهذا يجب أن تدرك الدول العربية الدور الذي تلعبه تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات على التنظيم والتربوي ومناهجه والوسائل والأهداف(6).

ويمكن إيجاز الدور الذي تلعبه الاتجاهات العالمية في تطوير المناهج التربوية فيما يلي:

1-الانفجار المعرفي وسرعة تدفق المعلومات:

بحيث مع تطور المعارف وسرعة نقلها واسترجاعها وتوصيلها وتخزينها إلكترونيا تم الاستغناء عن الحاجة إلى تخزين واسترجاع المعلومات عقليا وأدت الحاجة إلى تنمية القدرات العقلية نحو التجديد والابتكار والإبداع، ولهذا يتحتم تغير المناهج التربوية حتى تتماشى مع متطلبات العصر.

2-الثورة التكنولوجية:

إن التقدم الهائل في المجال التكنولوجي أدى إلى إحداث تغير في مجال العمل بظهور تقنيات جديدة واستخلاف الإنسان بالآلة وظهور الإلكترونيات والكمبيوتر، فبالضرورة تؤدي إلى تغييرا لسياسات التربوية ومناهجها وفق المستجدات وذلك بتطور المناهج التربوية والتكوينية.

3-الاجتياح الإعلامي العالمي:

أصبحت وسائل الاتصال سريعة ومتنوعة تعبر القارات وتغزو البيوت والعقول فلم تعد الوسائل التحصينية التقليدية قادرة على مواجهتها، ولهذا سعت كثير من الدول العالمية ومنها دول العالم العربي إلى مراجعة أنظمتها ومناهجها التربوية، وذلك بهدف إعداد أجيالها للقرن الحادي والعشرين وهذا بضبط وتطوير مناهج قادرة على تكوين أفراد وفق متطلبات العصر الحديث مع حسن إعدادهم تربويا للضبط الذاتي والتمييز بين ما هو صالح وما هو مضر والاحتفاظ بالانتماء الوطني.

4-تطوير الفكر التربوي العالمي:

شهد الفكر التربوي تطورا عالميا سريعا وهذا نظرا لتطور العلوم والتقنيات مما انعكس ذلك على التربية فتجلت في مجال المناهج اتجاهات حديثة تعتبر التربية نظام مفتوح يرتبط عضويا بالمجتمع(7).

كل هذه العوامل كافية لجعل الدول العربية تسارع إلى تطوير المناهج التربوية حتى تتلاءم والتغييرات العالمية وحتى لا نستيقظ على كابوس عولمة التربية والتعليم ويفرض علينا مناهج لا تتوافق وقيمنا وموروثنا الثقافي. ولهذا وجب الاستعداد من الآن وعدم التأخر لمواكبة المستجدات بشرط عدم إهمال قيمنا الثقافية الأصيلة.

5-رؤية مستقبلية لتطوير المناهج التربوية العربية في ظل العولمة:

يجدر بالعالم العربي في عصر التغيرات العالمية في كل المجالات وتغير في المفاهيم وفي ظل اكتساح عولمة التربية والتعليم أن تضع إستراتيجية واضحة ذات رؤية مستقبلية بعيدة الأمد تعتمد على مبادئ أساسية لتطوير المناهج التربوية وذلك لمجابهة تيار العولمة بكل سلبياته وإيجابياته. وتتمثل ما يلي:

- مسايرة الاتجاهات العالمية في المعرفة وأشكال التكنولوجيا في المجال التربوي.
- تبني رؤية إستراتيجية خاصة بالعالم العربي لكيفية إعداد أبناء المستقبل في ظل تحديات العصر الأمر الذي يستدعي الاهتمام بالمناهج التربوية.
- تطوير المناهج التربوية حتى تسمح لأبنائنا من امتلاك المفاهيم والقيم والمهارات لمعايشة عصر العولمة.
- إن قوة العقيدة أمر جوهري يجب أن يكون موجها أساسا في تخطيط المناهج وتطويرها، وذلك من أجل تدعيم القيم وإدراك العلاقة بين الدين والحياة (8).
- تطوير مناهج تربوية بما في ذلك الاهتمام بتعليم اللغات الأجنبية حتى يستطيع أبناءنا الإطلاع على الخبرات العالمية.
- استخدام تكنولوجيا التعليم في تطبيق المناهج التربوية(9).
- إعداد الأخصائيين والخبراء في ميادين المناهج التربوية وتدريبهم المستمر على تقنياتها.
- توفير الإمكانيات المادية للإحداث التطوير المستمر.
- الاستفادة من تجارب الدول الرائدة في المجال التربوي.
- تنسيق الجهود العربية في مجال البحث التربوي والاستفادة المتبادلة خاصة في تطوير المناهج التربوية.
- الأخذ بعين الاعتبار في إعداد المناهج وتطويرها سمات الجيل الجديد الذي سنعده لمولجة المستقبل في ظل متغيرات العولمة.

– وضع نظم للمراقبة والتقويم المستمر للمناهج التربوية واستشعار المستجدات التربوية العالمية واستثمارها لصالح المنظومة التربوية.

الخاتمة:

إن العولمة تيارها شديد بحيث أنه سيغطي العالم كله، بل وسيقضي على الثقافات الضعيفة، وبالتالي فنحن مطالبون بأن نعد الأبناء للمشاركة الفعالة في تيار العولمة فكرا وسلوكا، وهذا لا يأتي إلا بتطوير مناهجنا التربوية وجعلها تتماشى مع المتغيرات العالمية، وهذا شريطة أن نقدر ذاتنا تقديرا موضوعيا ونحافظ على قيمنا الثقافية وانتمائنا الحضاري.

الهوامش:

1 –د. فؤاد سليمان قلادة، أساسيات المنهج، دار المطبوعات الجديدة، 1976، ص 11

2 –د. سامي سلطي عر يفج، مدخل إلى التربية، الطبعة الثانية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2002، ص 277

3 د. فؤاد سليمان قلادة مرجع سابق، ص 179

4 د. مروان أبو حويج، المناهج التربوية المعاصرة، الدار العلمية الدولية، ودار الثقافة للنشر، عمان، الأردن، 2000، ص 244 – 255

5 –أ. د.أحمد حسين اللقاني، أ.د فارقة حسن محمد، مناهج التعليم، علم الكتب، القاهرة، ص 239

6 – د. نبيل راغب، أقنعة العولمة السبعة، دار غريب، القاهرة، 2001، ص 363-365

7 – أ.د. أحمد حسين اللقاني، أ. د. فارعة حسن محمد، مرجع سابق، ص 39 -41

8 – أ.د. أحمد حسين اللقاني، أ.د. فارعة حسن محمد، مرجع سابق، ص 247 -248

9 – د. مروان أبو حويج، مرجع سابق، ص 252